لغز أكثر مشاريع المخابرات الأمريكية سرية

العقل هو اخطر جزء في جسم الإنسان فهو مركز الفكر ومركز التحكم بالجسد وما حركتنا وأقوالنا إلا ترجمة لأوامره، لذلك إذا أردت التحكم في شخص فعليك أولا التحكم بعقله، وطبعا هذه العملية ليست بسيطة فليس من السهل تحويل شخص ما إلى جاسوس أو مخرب أو انتحاري، إنها عملية طويلة وعلم كامل له وسائله وأساليبه و عقاقيره وقد اهتمت الدول الكبرى بهذا المجال منذ عقود طويلة وأقامت لأجله مشاريع غاية في السرية تم خلالها أحيانا انتهاك حقوق الإنسان وتحويله إلى فأر تجارب، ورغم التكتم الشديد على هذه المشاريع إلا أن بعض التحقيقات نجحت في إماطة اللثام عن بعض تفاصيلها وتسببت بفضائح كبيرة ومدوية خاصة وأن قسم منها جرى على أراض دول طالما تشدقت باحترام الإنسان وحقوقه.

مئات الاشخاص تم استخدامهم في برنامج سري امريكي بدون علمهم

في حقبة الثلاثينات من القرن المنصرم شيد النازيون العديد من معسكرات الاعتقال في ألمانيا وأرسلوا إليها جميع من تم تصنيفهم كخطر على نظامهم القمعي أو على نظرية نقاء العرق الآري الألماني لذلك سرعان ما اكتظت هذه المعتقلات بأعداد كبيرة من المعارضين السياسيين واليهود والغجر والعاهرات ومثليي الجنس ثم أضيف إليهم لاحقا الملايين من أسرى جنود الحلفاء خاصة في بداية الحرب العالمية الثانية حين حققت الجيوش الألمانية النازية انتصارات كبيرة على جميع الجبهات. وبعد انتهاء الحرب

بهزيمة النازية عام ١٩٤٥، كشف الحلفاء المنتصرين عن الكثير من الجرائم البشعة التي اقترفت داخل السجون والمعتقلات الألمانية ومنها إعدام الملايين من البشر في عنابر الغاز سيئة الصيت إضافة إلى ملايين أخرى فارقت الحياة نتيجة سوء التغذية وتفشي الأمراض. ومن الجرائم التي ركز الحلفاء عليها وطبلوا لها باعتبارها دليلا قاطعا على وحشية النظام النازي هي التجارب والاختبارات التي أجراها العلماء والأطباء الألمان على السجناء داخل المعتقلات والتي راح ضحيتها الآلاف من الأبرياء ، وقد شملت هذه التجارب النازية مختلف المجالات العلمية والطبية مثل دراسة آثار الأسلحة الكيميائية والبيولوجية على البشر وتجربة عقاقير مختلفة الأغراض على السجناء لاختبار مفعولها وكذلك دراسات حول الوراثة دارت بشكل محوري حول تنقية العرق الآري الألماني مما اعتبره النازيين شوائب عرقية وكانت هناك أيضا تجارب انصبت على دراسة سلوك الإنسان ومحاولة تطوير طرق وأساليب تساهم في السيطرة عليه وتحويله إلى أداة مطيعة يمكن الاستفادة منها في عمليات تخدم النظام النازي. وعبر عرض هذه الجرائم بالتفصيل حاول الحلفاء إظهار أنفسهم على أنهم الطرف المدافع عن حقوق الإنسان وكرامته متناسين في نفس الوقت العديد من الجرائم التي اقترفتها جيوشهم خلال الحرب أو في مستعمراتهم حول العالم، وقد تجلى نفاق الحلفاء بصورة واضحة في الطريقة التي تعاملوا بها مع العلماء الألمان، فمع أن العديد من هؤلاء العلماء خدموا النظام النازي بإخلاص وامنوا بمبادئه واقترفوا بأسمه العديد من الجرائم البشعة ضد الإنسانية إلا انه جرى التفاوض معهم سرا وخيروا بين أمرين احدهما هو

تقديمهم للمحاكمة كمجرمي حرب مع احتمال كبير بأن تصل عقوبتهم إلى الإعدام والخيار الثاني هو إسقاط جميع التهم الموجهة إليهم والتوقف عن ملاحقتهم مقابل الاستفادة من خبراتهم في خدمة الدول التي تحتجزهم وسيتم توفير حياة مرفهة لهم ولعوائلهم، وبالطبع فقد فضل اغلب هؤلاء العلماء الخيار الثاني، وهكذا تم تقاسم العلماء الألمان سرا بين دول الحلفاء فنقلوا إلى مختبرات ومعامل أبحاث جديدة في الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي السابق وبريطانيا وفرنسا وتم الاستفادة من خبراتهم في مختلف المجالات العلمية وعلى الخصوص في مجال الفيزياء والذرة حيث ساهم هؤلاء بشكل خاص في دفع برامج الدول الكبرى للتسلح النووي بخطوات كبيرة إلى الإمام.

مجموعة من العلماء الألمان الذين نقلوا سرا للولايات المتحدة كان لهم باع طويل في مجال البحث عن أنجع السبل لحمل جواسيس وأسرى العدو على الاعتراف بمعلومات مهمة وحيوية وذلك عن طريق ممارسة أساليب التعذيب الجسدية والنفسية المختلفة عليهم وكانت لهم أبحاث ودراسات حول قياس مدى تحمل البشر للتعذيب وطرق غسل الدماغ والسيطرة على عقول الأشخاص بهدف تجنيدهم والاستفادة منهم، وبما أن هذه الدراسات والأبحاث تدخل مباشرة ضمن نطاق عمل الأجهزة الأمنية المكلفة بجمع المعلومات عن العدو لذلك قامت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) باحتضان هؤلاء العلماء للاستفادة من خبراتهم وأصبحوا فيما بعد اللبنة الأولى لمشروع سري ضخم تم تأسيسه خلال عقد الأربعينات من القرن المنصرم تحت اسم ام كي ألترا (MK-ULTRA)

كان الهدف الرئيسي منه هو دراسة العقل البشري والبحث عن أفضل الأساليب لتطويعه والسيطرة عليه، مثلا اختراع مادة أو عقار يعزز التفكير غير المنطقي لدى المتلقي إلى درجة انه يصبح أضحوكة ومحل للسخرية والتندر من قبل الآخرين وكان الهدف من هذا العقار هو استخدامه ضد شخصيات سياسية ودولية معادية للولايات المتحدة مثل فيدل كاسترو في كوبا، ومن الأهداف الأخرى للمشروع :

- اختراع عقاقير تجعل عملية التنويم المغناطيسي أسهل وتعزز من فعاليتها.
- اختراع عقاقير تعزز القدرة على تحمل التعذيب والاحتجاز والضغط النفسي.
- اختراع عقاقير تسبب فقدان الذاكرة بعد القيام بمهمات معينة.
- إيجاد طرق وأساليب بدنية تولد الشعور بالصدمة والاختلال الذهني لفترة معينة من الزمن.
- اختراع عقاقير تغيير تركيبة الشخصية (العواطف والأحاسيس والشعور) بشكل كلي.
- اختراع عقاقير تسبب تشوش ذهني للمتلقي فيعجز عن الاستمرار في التصنع والخداع أثناء التحقيق معه.
- اختراع عقاقير تعزز من الشعور بالتعب والهلوسة البصرية والسمعية لدى المتلقي.

- كبسولة يمكن أن يتناولها المتلقي عن طريق الماء أو الطعام أو السيجار وتؤدي إلى فقدان مؤقت للذاكرة.
- اختراع عقاقير يؤدي تناول كمية صغيرة منها إلى عدم قدرة المتلقي على القيام بأي مجهود بدني.
- اختراع عقاقير تستطيع أن تبطل أو توقف التأثير المسكر الناتج عن تناول الكحول.
- اختراع عقاقير تعزز وتقوي التأثير المسكر الناتج عن تناول الكحول.
- اختراع عقاقير يمكن أن تولد أعراض كاذبة مشابهة لأعراض بعض الأمراض المعروفة.

و تم تسخير مختلف الإمكانات الكيميائية والبيولوجية والإشعاعية لغرض تحقيق الأهداف أنفة الذكر وخصصت ملايين الدولارات من اجل الأبحاث المتعلقة بها، وخلال عقدين من الزمن تم إخضاع المئات من المواطنين الأمريكان لهذه التجارب بدون علمهم وتم حقنهم بمختلف أنواع العقاقير الطبية لدراسة تأثيرها عليهم، وربما يكون عقار ال اس دي (LSD) .

وعقار ال اس دي (Lysergic acid diethylamide) هو من أقوى عقاقير الهلوسة ولذلك تم منعه في اغلب دول العالم وتم حضره بدون وصفة طبية وهو عقار قوي جدا لذلك تقاس جرعاته بالمايكروغرام (عام

١٩٦٢ مات فيل بالغ بسبب تناوله لأقل من ثلث غرام من هذه المادة). تناول هذه المادة يؤدي إلى أعراض وتأثيرات تستمر لعدة ساعات وعادة ما تسمى بالرحلة وهي تتفاوت من شخص إلى آخر – في الغالب يشعر الشخص بأن ألوان المحيط الذي هو فيه تبدأ بالتوهج وتبدو كأنها تتحرك وتتنفس – ظهور رسوم وأشكال متحركة على الجدران – تشوه الإحساس بالزمن فيبدو كأنه يتمطى ويكرر نفسه وتتغير سرعته وأحيانا يتوقف تماما – التعرض لما يشبه تجربة الخروج من الجسد – التعرق وجفاف الفم من اعرض تناول العقار كما يرتفع ضغط الدم وتزداد دقات القلب – مختلف الهولسات البصرية والسمعية .. الخ، طبعا هذه الأعراض ليست ثابتة فهي تختلف من شخص لأخر كما تختلف مدة الرحلة وهلوستها حسب مقدار الجرعة التي يتناولها الإنسان ولهذا السبب يبدو أن المخابرات المركزية قد تخلت عن استعمال هذه المادة لأنه من الصعب جدا التكهن بتصرفات الأشخاص عندما يكونون تحت تأثيرها، وبسبب طبيعة هذه المادة فقد شاع استعمالها بين الجماعات الدينية والروحانية كما إن هذه المادة لا تسبب الإدمان.

هو الأكثر استخداما في هذه التجارب وهو عقار يسبب حالة قوية من الهلوسة تستمر لمدة زمنية طويلة نسبيا لكنها تتفاوت حسب الجرعة التي يتناولها المتلقي، وقد استعملت وكالة المخابرات أساليب اقل ما يقال عنها أنها دنيئة لاصطياد الأشخاص وحقنهم بهذه المادة، ففي إحدى العمليات التي أطلق عليها اسم "ذروة الليل" قامت وكالة الاستخبارات المركزية بفتح عدة بيوت دعارة وزودتها بكاميرات ومرايا وقواطع زجاجية تتيح الرؤية

من طرف واحد ثم بدئت باختيار بعض الأشخاص من زوار هذه المواخير واستعملت طرقا متعددة لجعلهم يتناولون عقار ال اس دي بدون علمهم ثم صورت بالتفصيل ما يحدث لهم من أعراض وردة فعل على تناول تلك المادة، وقد تسأل عزيزي القارئ عن مغزى استخدام بيوت الدعارة لاصطياد الضحايا والسبب يكمن ببساطة في ان رواد هذه المواخير لن يجرؤا على التقدم بشكوى خوفا من الفضيحة وكذلك لأن هذه المواخير غير قانونية وبذلك سيتعرضون هم أنفسهم للملاحقة القانونية. وهناك أماكن أخرى تعرض روادها للتجارب والاختبارات بدون علمهم وفي مقدمة هذه الأماكن تأتي مصحات الأمراض العقلية والنفسية وذلك لسهولة حقن مرضاها بالعقاقير واختبار آثارها عليهم من دون أن يثير ذلك أي شبهة أو لغط، كما تم إجراء التجارب في المستشفيات والجامعات ومعسكرات الجيش والسجون واجري قسم منها في المستشفيات الكندية وتعاون العديد من الأطباء والعلماء المرموقين في تنفيذ هذه التجارب التي شملت اختبارات على العقاقير الطبية واستخدام الصدمات الكهربائية والتنويم المغنطيسي إضافة إلى تجارب مسح الذاكرة وغسل الدماغ ودراسات حول أمراض نفسية مثل الرهاب وانفصام الشخصية.

اثر ازدياد اللغط والشائعات حول مشروع ام كي الترا، قامت الاستخبارات المركزية عام ١٩٧٣ بحرق وإتلاف اغلب الوثائق المتعلقة بالمشروع فضاعت إلى الأبد الكثير من الحقائق المتعلقة به وكذلك طويت صفحة الجرائم والانتهاكات التي اقترفت أثناء تلك التجارب، وأشهر تلك الجرائم هي مقتل الخبير فرانك اولسن المتخصص في برامج الأسلحة

البيولوجية في الجيش الأمريكي والذي أعطي عقار ال اس دي بدون علمه فقام تحت تأثير العقار بالقفز من شباك غرفته في الطابق العاشر من إحدى المباني ومات في الحال، طبعا هذه هي الرواية الرسمية للحادث، أما عائلة فرانك اولسن فتصر على أن المخابرات المركزية قامت بقتله بسبب تهديده إياها بفضح برامج ومشاريع على درجة عالية من السرية تتعلق بالتحكم بالدماغ عن طريق التخدير والتنويم المغناطيسي، وقد جرى استخراج رفات فرانك اولسن من قبره عام ١٩٩٤ وتم تشريحه مجددا وقد أظهرت النتائج بشكل لا يقبل اللبس بأنه تعرض للضرب العنيف قبل رميه من شباك غرفته وانه كان على الأغلب فاقدا للوعي عندما هوى إلى الأرض.

عام ١٩٧٤ نشرت جريدة النيويورك تايمز مقالا حول أنشطة وتجارب سرية مارستها وكالة الاستخبارات المركزية والجيش الأمريكي على مواطنين أمريكان وقد أثار هذا المقال ضجة كبيرة في الولايات المتحدة فتم على أثرها تشكيل لجنة في الكونغرس الأمريكي لتحقيق في هذه المزاعم، وخلال التحقيقات وجلسات الاستماع التي استمرت لعدة سنوات تم الكشف عن بعض جوانب مشروع ام كي الترا للتحكم بالعقل لكن الصورة الكلية والحجم الفعلي للتجارب ونوع المهمات التي نفذت ستبقى طي الكتمان للأبد، وعلى اثر التحقيقات قامت حكومتي كل من الولايات المتحدة وكندا بدفع تعويضات مالية ضخمة لمجموعة من الأشخاص في البلدين ثبت بأنهم كانوا ضحايا للتجارب بدون علمهم، ومن ضمن من تم تعويضهم هم عائلة الخبير فرانك اولسن التي حصلت على مبلغ ٧٥٠٠٠٠ دولار.

في الحقيقة لا احد يعلم حتى اليوم طبيعة المهمات والعمليات السرية التي نفذتها المخابرات المركزية الأمريكية بواسطة مشروع التحكم بالعقل، وربما تكون مازالت تستخدمها حتى اليوم، وخلال العقود الثلاثة المنصرمة ظهرت العديد من النظريات والفرضيات حول أحداث ربما يكون لمشروع التحكم بالعقل صلة بها، وقد تكون أشهر هذه الحوادث هي اغتيال نائب الكونغرس الأمريكي روبرت كنيدي الذي اغتيل على يد شاب فلسطيني مسيحي يدعى سرحان بشارة سرحان عام ١٩٦٨ ويذهب البعض ممن يؤمنون بنظرية المؤامرة إلى أن سرحان كان منوما مغناطيسيا أثناء إطلاقه النار على النائب ومرافقيه. ومن الحوادث الأخرى التي يعتقد أن للمخابرات المركزية ومشروع التحكم بالعقل يد فيها هي حادثة مزرعة جونز تاون وحادثة الانتحار الجماعي التي وقعت فيها وراح ضحيتها أكثر من ٩٠٠ شخص، فالبعض يعتقد أن جيم جونز مؤسس طائفة معبد الشعب (كان يعمل مع المخابرات المركزية أو انه كان تحت سيطرتها وان مخيم جونز تاون كان جزءا من مشروع للتحكم بالعقل تديره المخابرات الأمريكية وان عملية الانتحار الجماعي كان الغرض منها هو التغطية على الانتهاكات التي تمت في المخيم وعمليات غسل الدماغ التي مارسها جيم جونز على أتباعه. وهناك أيضا العديد من الجرائم والأحداث الغامضة في العالم التي لا يعرف على وجه الدقة كيف نفذت، مثل اغتيال الرئيس الأمريكي الأسبق جون كنيدي وهجمات الحادي عشر من سبتمبر.

أصبح مشروع التحكم بالعقل موضوعا مشوقا للعديد من الأفلام هوليوود السينمائية التي تدور حول أشخاص تم مسح ذاكرتهم أو تعرضوا

لغسيل الدماغ وتم إرسالهم لتنفيذ مهمات معينة أو عن أشخاص ينومون مغناطيسيا ويرسلون للقيام بعمليات انتحارية، ورغم ان اغلب حبكات هذه الأفلام هي خيالية أو على الأقل لم يثبت أنها صحيحة، لكن ذلك لا يمنع من وجود العديد من القصص الحقيقية لأشخاص ادعوا أنهم اخضعوا بدون علمهم لتجارب مشروع ام كي الترا، وقد تكون أشهرها في هذا المجال هي قصة عارضة أزياء ومقدمة برامج إذاعية تدعى كاندي جونز مرت بتجربة مخيفة عاشت أثنائها بشخصيتين، إحداهما عاشت بها مع الناس كإنسانة جميلة ورقيقة أما الشخصية الأخرى فمخيفة وغامضة عملت لخدمة وكالة المخابرات المركزية لا يعلم أسرارها سوى الله، إنها قصة عجيبة أفردنا لها مقالا خاصا بها سننشره في اقرب وقت.